في الحاجة إلى قواعد منهجية لفكر الاستغراب

حسن عزوزي

أستاذ الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

azzouzihasan@hotmail.com

تاريخ استلام البحث: ١/ ٣/ ٢٠٢١ تاريخ تحكيمه: ٢١/ ٤/ ٢٠٢١ تاريخ قبوله للنشر: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢١

ملخص البحث

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التأكيد على أن استثمار التفكير في حقل الاستغراب، بهدف تعزيز فقه التعامل مع الغرب، لا بد أن يتم إرساؤه على بناء هندسي معرفي سليم، وقواعد منهجية واضحة، وقد تم البحث في هذا الموضوع نظرًا لما يلاحَظ في معظم البحوث العربية حول فكر الاستغراب من قلة اعتبارٍ للقواعد المنهجية المعيارية الضابطة لمجال وحدود البحث في هذا المجال.

منهج الدراسة: يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي؛ نظرًا لطبيعة الموضوع في علاقته بالتأمل الاستنباطي للأفكار، والعمل على تحليلها، ودراستها.

النتائج: توصل البحث إلى أن دراسة فكر الاستغراب بحاجة إلى الاستناد إلى قواعد منهجية، مؤطرة للأنظار، والفهوم المختلفة، ومحققة لمقاصد هادفة، تحول دون الوقوع في أخطاء منهجية، أو تعميمات غير سليمة، علمًا بأن نص البحث قائم على انتخاب مجموعة من القواعد الكلية الضابطة لحدود المقاربة المطلوبة للفكر الغربي، دراسة، وفهمًا، وتقويمًا.

أصالة البحث: يقدم البحث نماذج للقواعد المنهجية؛ الناظمة للمجال التداولي المعرفي لفكر الاستغراب، وفق رؤية إسلامية هادفة.

الكلمات المفتاحية: الاستغراب، القاعدة، المنهج، الحضارة

للاقتباس: حسن عزوزي، «في الحاجة إلى قواعد منهجية لفكر الاستغراب»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ٣٩، العدد ٢، ٢٠٢١، عدد خاص حول «فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر: نحو رؤية علمية موضوعية في استكشاف الآخر»

https://doi.org/10.29117/jcsis.2021.0300

© ٢٠٢١، حسن عزوزي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). وتسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف. https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0-

The Need of Methodological Rules Composing the Occidentalist Thought

Hassan Azzouzi
Professor of Islamic Studies, College of Sharia
Sidi Mohamed ben Abdellah, Fes – Morocco
azzouzihasan@hotmail.com

Received: 1/3/2021 Reviewed: 21/4/2021 Accepted: 27/5/2021

Abstract

Purpose: The research aims to emphasize that investing the thinking in the field of Occidentalism to strengthen the fiqh of dealing with the West must be based on sound knowledge foundation and clear methodological rules. I have been researching on this topic due to what is observed in most Arab researches on the Occidentalist thought regarding the lack of consideration of the standard and methodological rules composing the domain and the limits of research in this field.

Methodology: The research method remains dependent on the analytical and critical method due to the nature of the topic in its relationship to deductive reflection of ideas and the work on their study and analysis.

Findings: Perhaps one of the most prominent findings of the research is that the study of the Occidentalist thought needs to be based on methodological rules framing differentviews and concepts, and achieving purposeful goals that prevent making methodological errors or improper generalizations, knowing that the text of the research is based on the election of a set of general rules regulating the limits of the approach required for Western thought to study, understand and evaluate.

Originality: The originality and value of the research is reflected in providing examples of the methodological rules composing the cognitive and deliberative field of the Occidentalist thought according to a proper Islamic vision.

Keywords: Occidentalism; The rule; Approach; Civilization

Cite this article as: Hassan Azzouzi, "The Need of Methodological Rules composing the Occidentalist Thought", *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*, Volume 39, Issue 2, (2021). Special issue on "Occidentalism in Contemporary Cognitive Deliberation: Toward Objective Scientific Vision for Exploring the Other"

https://doi.org/10.29117/jcsis.2021.0300

© 2021, Hassan Azzouzi. Published in *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*. Published by QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, trans.form, and build upon the material, provided the original work is properly cited. The full terms of this licence may be seen at https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/.

المقدمة

على الرغم من أن فكر الاستغراب كمجال معرفي[١]، له أسس، ومناهج، وأهداف، وليس هو السبيل الوحيد للانعتاق من هيمنة الغرب، وسطوته، ما دام نقد الغرب لا يحقق بالضرورة التحرر من إساره، إلا أنه يبقى مسعى جديًا، ومجالًا بحثيًا طموحًا، من شأنه الإسهام – إلى حد ما – في الاستنهاض الفكري العربي، والإسلامي، ولذلك تأتي أهمية دراسة الغرب من خلال تحليل جميع أبنيته، وأسسه المعرفية؛ لمواجهة حالة الانبهار التي أصابت كثيرًا من أبناء الأمة الإسلامية من جهة، واستثمار ما يمكن استفادته من مقومات، ومرتكزات التطور الفكري، والتقدم العلمي، فضلًا عن الحاجة إلى الأخذ بأسباب القوة المادية في سياق فقه الإعداد؛ للتعامل مع الآخر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولما كانت الأمة الإسلامية أمة الدعوة، والشهادة، فالشهادة على الناس تقتضي معرفتهم المعرفة الحقيقية، وفق ضوابط، ومحددات، وقواعد منهجية قاصدة.

إشكالية البحث:

تدور الإشكالية حول مدى ضرورة إبراز الحاجة إلى تجديد إدراكنا، واستيعابنا للثقافة، والفكر الغربيين، وفق قواعد منهجية، مبنية على أسس علمية، تحقق مقاصد هادفة، خاصة في ظل عدم الإجماع على أنه علم قائم بذاته، بل هو حركة حضارية، تعبر عن جهد بشري، يتحرك في إطار من تنسيق معرفي متنوع عن الغرب.

وإذا كانت ثمة إشكاليات تطرح بصدد التأسيس، والإنضاج، فإن البحث – من جهته – يهدف إلى الإقناع بأن ثمة حاجة ماسة الى إرساء خطة منهجية، تسمح ببلوغ الهدف من إنشائه، من خلال التعامل الناجع مع حضارة الغرب تقويمًا، فضلًا عن تحديد معايير، وضوابط منهجية في مقاربة الدرس العلمي للآخر.

منهج البحث:

لما كان فكر الاستغراب، كحقل ثقافي، له موقعه المهم ضمن المجال المعرفي التداولي المعاصر، لا يزال مناط البحث هو الاستكشاف، والدراسة؛ لأن إبراز الحاجة إلى بحث قواعد منهجية لفهم الغرب فهمًا جيدًا، يقتضي اعتماد منهج استقرائي، بالاطلاع على أهم ما كتب في الموضوع، والوقوف على التجوز الحاصل في جل الدراسات، والأبحاث العربية، في عدم استحضار، واعتبار أهمية الانطلاق من قواعد منهجية، تخدم رؤية إسلامية تأصيلية، تبنى على قواعد، وضوابط منهجية، مؤطِرة، تقوم على أسس، ومقاصد علمية هادفة، واتبع البحث كذلك المنهج التحليلي في دراسة القضايا، والإشكالات المطروحة، وذلك بالنظر إلى طبيعة الموضوع في علاقته بالتأمل الاستنباطي للأفكار، والعمل على

(١) إن مقاربتنا لموضوع البحث، لا تستند إلى إطلاق العِلمية على الاستغراب، فهو ليس علماً قائماً بذاته، له قواعده وأدبياته، كما أنه ليس علماً بمعنى العلم الصارم ذي الموضوع المحدد، والأصول الثابتة، والبنية المتماسكة، والأنساق الواضحة، بل هو منهج في التعامل مع الغرب، فهمًا، ودراسة، وهو أيضًا فكر، ما دام يشكل مجالًا معرفيًا، تتوارد عليه مختلف الأفكار، والرؤى، والتصورات، مع ما يكتنفها من التباسات، وآمال، وأهداف غير جلية؛ ولذلك؛ فإن كل من ينهض بهذا المجال المعرفي بحثًا، ودراسة، إنما يمارس في ذلك طريقة للنظر، والتفكير، ويشتغل به أفقًا للدراسة، والفهم.

تحليلها، ودراستها.

وقد كانت خطة البحث كالآتي:

المبحث الأول: من أجل رؤية تأصيلية لفكر الاستغراب.

المبحث الثاني: من مبررات التنظير للقواعد المنهجية.

المبحث الثالث: فهم الآخر، انطلاقًا من فهم الذات.

المبحث الرابع: الانطلاق في فكر الاستغراب من مرجعية إسلامية.

المبحث الخامس: الغرب ليس شرًا كله، وليس خيرًا كله.

المبحث السادس: عدم فهم الغرب من منظور عدائي.

المبحث السابع: امتلاك المعرفة الضرورية لمقاربة، وفهم الغرب.

المبحث الأول: من أجل رؤية تأصيلية لفكر الاستغراب

إذا كان فكر الاستغراب لا يزال مشروعًا يتلمس الطريق، فإن كل مشروع لا بد له من منهج ناظم، وهوية ظاهرة، تتضح أسسها، ومعالمها من خلال تحديد المنطلقات، وضبط المقاصد، والغايات، وإلا كان المشروع عرضة لهدر الجهود، والطاقات، وما دام الاستغراب لم يتحول بعد إلى مجال علمي، له تراثه، وأدبياته، فيمكن على الأقل تحويل الاستغراب من دعوة يطلقها البعض هنا، أو هناك؛ ليصبح اتجاهًا حضاريًا جديدًا، له إسهاماته في تعزيز، وتعميق أسس الحوار الحضاري بين الإسلام والغرب[1]، فعلى سبيل المثال: نجد الدكتور عبد الوهاب المسيري، وهو واحد من أبرز المفكرين العرب، الذين أنضجوا موقفًا واعيًا من فكر الاستغراب، يركز على «ضرورة الانتباه إلى المفاهيم التي تقوم عليها القواعد المنهجية لفكر الاستغراب، فدون استيعابها، وإدراكها لن يكون بالمقدور، الدراسة الواعية لفكر الغرب، ومنظومته»[2].

إن الغرب، الذي ليس فضاء جغرافيًا، يوحي بالجهة المقابلة للشرق، بقدر ما هو ثقافة، وفكر، ونمط حياة، بحاجة إلى رؤية تأصيلية لفهمه، انطلاقًا[3] من قواعد منهجية تبنى على أسس علمية، وتحقق مقاصد هادفة، بعيدًا عن أية ضغوط أيديولوجية، أو فكرية، خاصة إذا علمنا أن ثمة نظرة مبهمة، وملتبسة تسود بين النخب الفكرية الإسلامية؛ حيث نجد

(١) إن الانتقال بفكر الاستغراب من حيز الدعوة إلى حيز التطبيق؛ لكي يصير اتجاهًا حضاريًا، هو الذي يقتضي البحث، والتوافق على قواعد منهجية، وأسس معرفية واضحة، يتم من خلالها تحقيق ذلك، خاصة إذا علمنا أنه ينتظر ظهور حركات استغرابية متعددة، وليس استغرابًا واضحًا.

(٢) عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز للنموذج المعرفي الغربي الحديث (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط. ١، ١٩٩٥)، ص. ٥٤ – ٥٥.

(٣) على الرغم من المجهودات العديدة الذي بذلها مفكرون عرب، ومسلمون، في سبيل إنضاج تصور واضح عن الاستغراب، إلا أن الحديث عن مصطلح الاستغراب يبدو أكثر تعقيدًا، والتباسًا؛ نظرًا لانفراده، وجدته، فضلًا عن انتصابه كمجال فكري تداولي حديث، يفتح الباب على سيل وافر من التفسير والتأويل، وتعدد الفهوم والتصورات.

من ينتقد الغرب بسبب نزعة الهيمنة، وفرض القوة، والنفوذ، والاستعلاء، كما نجد بالمقابل من يميل إلى التبعية، والتقليد في كل شيء، واستمداد جل الأفكار من الغرب، باعتبارها الأنسب، والأفيد في سياق تغريبي محض، يعيد إنتاج معارف الغرب على النحو الذي يريده لها العقل الغربي ذاته؛ لذلك نرى أن هذين الاتجاهين، لدى النخب الفكرية الإسلامية، يدعو بقوة إلى بلورة فهم جيد لهذا الغرب في مختلف جذوره، وامتداداته الفكرية، والدينية، والثقافية، خاصة إذا علمنا أن كثيرًا من مواقف المثقفين العرب، والمسلمين المتباينة، تجاه الغرب، تعبر عن انقسامات عاطفية، أكثر من كونها انقسامات فكرية، أو علمية، فمن قائل بضرورة توظيف مبدأ «المعاملة بالمثل» من منطلق معاملة أولئك القوم بمثل ما يعاملوننا به (الاستغراب مقابل الاستشراق)، وهناك من يذهب إلى وجوب القضاء على المركزية الأوربية، ونزعتها العالمية[١]، في حين اعتبر آخرون «أن مجموع التراث الغربي، ليس تراثًا إنسانيًا عالميًا، بقدر ما هو محلي خالص، مما يقتضي إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلًا، وقائدًا للفكر الإنساني في امتداداته المختلفة، فتكون دراسة الغرب على أساس كونه تاريخًا، وليس خارجه، وأنه تجربة بشرية، ومسار حضاري، شأنه شأن غيره من التجارب»[٢]؛ لذلك فإن فكر الاستغراب من المواضيع المعرفية العميقة التي تحتاج إلى البعد عن الحماسة، والانفعال في التناول، والطرح، فهو مصطلح حديث[٣]، تناوله بالبحث والدراسة أفراد من أبناء النخبة الفكرية العربية، والإسلامية، وقطعوا أشواطًا في الاستكشاف، والتحليل، والنقد[٤]، إلا أنه ليس حبيس الرؤية المشرقية، بل أسهم في إنجازه مفكرو ثقافات أخرى في آسيا، وإفريقيا[٥]، كما أنضج مفكرون غربيون دراسات ذات بال في نقد مرتكزات الحضارة الغربية، وتجربتها الإنسانية[٦]، ومع كثرة الإسهامات المتنوعة هنا وهناك، يبقى سؤال الغرب تعريفًا، وفهمًا، وتعاملًا، لا يزال إشكالًا صعبًا، ومعضلة معقدة، ومع ذلك فدراسة الغرب لا يمكن أن تترك للصدفة، أو تتم عشوائيًا، بل لا بد أن تكون قرارًا واعيًا، ومقصودًا من قبل مراكز

(١) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط. ١، ١٩٩٢)، ص. ٥٠.

(٢) عز الدين معميش، «فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر، نحو رؤية موضوعية في استكشاف الآخر»، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد ٢٥، العدد ١٠٠، ص. ٥٨.

(٣) لعل أول إشارة لمصطلح «الاستغراب» قد تكون جاءت في كتاب برنارد لويس «كيف اكتشف المسلمون أوروبا؟»؛ حيث أورد في سياق الإشارة عدم توافر الفضول لدى المسلمين؛ لكي يتوجهوا نحو دراسة الغرب، وواضح أن لويس يقصد هنا الغرب، وبحث كل ما يرتبط به من أجل فهمه، وليس المراد استكشافه، كما حصل في عصر النهضة العربية مع رواد التنوير. انظر:

Bernard lewis , *comment l'Islam a découvert l'Europe, traduit par Annick Pélissier* ; Paris, Gallimard 1984.

(٤) أمثال: إدوارد سعيد، وعبد الوهاب المسيري، وحسن حنفي.

(٥) انظر: بورمان يان، مرغليت أفيشاي، الاستغراب: تاريخ النزعة المعادية للغرب، ترجمة: ثائر ديب (الرياض: مطبعة العبيكان، ط. ١، ٢٠٠٨)، ص. ٧٥.

(٦) يمكن العثور على أهم الانتقادات القوية، والدقيقة، الموجهة إلى المنظومة الغربية في الدراسات، والتحقيقات التي قام بها غربيون، أمثال: رينيه غنون في كتابه «أزمة العالم الحديث»، وفي مقابل ذلك نجد أن معظم الانتقادات الأخرى مشرقية، وغيرها تبقى عاطفية، أو سطحية؛ ولذلك فإن من أبرز وسائل فهم الغرب على حقيقته في إيجابياته، وسلبياته، ونجاحاته، وإخفاقاته، هو الانكباب على دراسة، وتحليل مختلف وجهات النظر التي درست الغرب داخل بيته بشكل علمي، موضوعي، بيد أنه لا جدوى من دراسة النظريات الغربية المبالغة في التشاؤم، مثل نظرية شبنغلر؛ الذي توقع منذ عقود مديدة انهيار الغرب، وسقوطه التام.

القرار الإسلامي، كما ينبغي أن يشمل هذا القرار إنشاء، وتجهيز مراكز، ومعاقل للدراسات الغربية، مع العمل على تعزيز تكوينات رصينة في الموضوع، وتخريج أجيال جديدة من المستغربين العرب، والمسلمين، قادرين على دراسة، واستكشاف التاريخ، والثقافات، والمجتمعات الغربية، وفق مبادئ، وقواعد منهجية واضحة، تخدم مصلحة الرأي العام الإسلامي في انفتاحه، وتفاعله مع الآخر، وهذا ما نفتقده إلى الآن؛ إذ كل ما يوجد في الساحة اليوم عدد من مراكز البحث التي تعمل على نشر نوع من النزعة الغربية باسم الاستغراب، من خلال العمل على الترويج للأفكار الغربية، في سياق تقليد غير واع للآراء العلمانية الغربية، واتخاذ مواقف من التراث الإسلامي بمعايير التجارب الغربية، ومناهجها، وهذا الذي يراه حسن حنفي «نوعًا من الاستغراب المقلوب»[1].

إن الذي ينبغي الطموح إليه، هو تأسيس فكر للاستغراب، ينطلق من رؤية إسلامية، تأصيلية، ويهتدي بمبادئ، وضوابط، وقواعد منهجية هادفة، بمعنى أن فكر الاستغراب، لا بد أن يخدم مقصدًا معرفيًا أصيلًا، وهو تحرير العقل العربي الإسلامي من وضعية الركود، والجمود الناتجة عن عقلية الاستتباع، والاستمداد الدائم من المنتوج الغربي الجاهز، وإعطاء الذات العربية الإسلامية فرصة الإبداع، مع الانطلاق من المبادئ، والقناعات الإسلامية، وينتج عن هذا المقصد تحقيق مقصد آخر، وهو التخلص من الانبهار بالغرب، من خلال نقد أطروحاته، وفلسفاته، علمًا بأن معظم مقولات الغرب وضعية، ومادية، في حين أن التنوع العلمي الإسلامي للأفكار، والنظريات، يقوم على اعتبار الأخلاق.

إن **الغرض، والمقصد الرئيس** من تأسيس فكر الاستغراب، وفق قواعد منهجية واضحة، بلورة رؤية معرفية إسلامية، يؤمل من خلالها فهم أسس الذهنية الغربية في تعاملها مع الإسلام، والمسلمين، وإنضاج نظرية معرفية إسلامية، ترسي قواعد فهم جديدة للتصورات، والمناهج، وآليات العمل التي تنبني عليها العقلية الغربية، وذلك من خلال «تشريح فكر، وسياسات الغرب المتفوق، والاستفادة منه بالقدر الذي يتوافق مع قيمنا، ويخدم مصالحنا في إطار من التفاعل الذي ينبغي أن تسبقه معرفة بالآخر الحضاري»[2].

المبحث الثاني: من مبررات التنظير للقواعد المنهجية

إن بلورة مجموعة من القواعد المنهجية التي يمكن أن يقوم عليها فكر الاستغراب، يقتضي الوقوف عند جملة من المبررات، والاعتبارات، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- إن اعتبار فكر الاستغراب حقلًا معرفيًا جديدًا، لم يتحول بعد إلى منظومة علمية لها تراثها، وأدبياتها، يقتضي الاستئناس بمجموعة من القواعد المنهجية الداعمة، والمؤطرة لعمل الباحثين في مجال معرفة الغرب.

(١) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص. ٧٤. وللإشارة فليس من مهمات هذا البحث مناقشة أفكار ورؤى حسن حنفي، فقد اهتمت بها دراسات، ومقالات عديدة، ويمكن الاطلاع على نقد مختصر لمجمل ما جاء في الكتاب في بحث عز الدين معميش السالف الذكر، ص. ٦٥ - ٧٠.

(٢) محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل (بيروت: المركز الثقافي الغربي، ط. ١، ١٩٩٨)، ص. ٨٠.

٢- إنه لا يوجد نظام محدد في إطار البحث العلمي المنهجي، والمنظم، يتعلق بدراسة الغرب من جانب المثقفين العرب، والمسلمين، وكل ما هو متوافر عبارة عن محاولات فردية، متناثرة هنا وهناك، فكل مفكر يسعى إلى تقديم أطروحته، ورؤيته الخاصة إلى هذا الحقل المعرفي الجديد، فليست هناك ضوابط علمية، أو قواعد منهجية تحكم مجال الاستغراب، وإنما مجهودات فردية، عبارة عن أفكار، ونظريات تتلاقح، وتتفاعل في سبيل بلورة مجال معرفي، يعنى بمعرفة الغرب، لا يجمع بينها فكر ناظم، أو منهج موحد، مما يدعو إلى تأسيس تقاليد بحثية علمية، تقعد لفكر الاستغراب، وتضبط حدوده، ومراميه.

٣- إن من يبحث في إطار فكر الاستغراب، لا بد أن تتوافر لديه طريقة من النظر، والرؤية، وفق قواعد منهجية ضابطة، تعبر عن جماع المقومات الرئيسة للثقافة التي يعبر عنها، والتوجه الذي يصدر عنه، وأن تكون هذه الطريقة/ المنهج على درجة من الوضوح، ولا شك أن الخلفية الفكرية للباحث المسلم، المعتز بمبادئه الدينية، والملتزم بالرؤية الإسلامية، المؤصلة للأفكار، والتوجهات، تختلف عن تلك التي ينطلق منها الباحث المسلم ذو التوجه العلماني، أو الليبرالي المتحرر، «إننا عندما نأخذ الآخر موضوعًا للدراسة؛ فإنه لا يكفي اعتبار المنظور إليه فقط، بل لا بد من اعتبار الناظر أيضًا؛ أي أن نجعل الغرب موضوعًا للدراسة من توجه معين، وأفق محدد، وملامح ثقافية، وفكرية معينة، فأغلب المحاولات التي تستهدف دراسة، ومعرفة الغرب، تغيب عنها هذه الخلفيات، وأبعادها، وما يفترضه ذلك من مناهج ذاتية في الرؤية، والتصور، والتحليل، تعبر عن قناعات محددة»[(١)].

٤- ليس من السهل تحديد قواعد منهجية ناظمة لفكر الاستغراب، يتم التوافق عليها لدى مجتمع النخبة في عالمنا الإسلامي، فالأمر يرتبط بمجموعة من العوامل، تقف وراءها الخلفية الفكرية للباحث، والمنطلق الأيديولوجي، واختلاف الرؤى، والتصورات، والمناهج، كما أن الأنظار، والفهوم، تختلف وتتباين، والقواعد المنهجية، المراد تأسيسها، تبقى معايير، وضوابط تساعد على تحقيق الأهداف المنشودة من وراء تأسيس الاستغراب، لذلك؛ فإن مفهوم القاعدة المنهجية في موضوعنا هذا، لا علاقة له بمفهوم القواعد المؤصلة لبعض العلوم الشرعية (قواعد أصولية – فقهية – تفسيرية...)، والتي تعتبر معايير ثابتة، التف حولها العلماء (أصوليون، فقهاء، مفسرون...)، نظرًا لكونها مستنبطة من النصوص الشرعية.

إن المراد من القواعد التي تقوم عليها حركة الفكر في الاستغراب، مجموعة من الأفكار ذات البعد المعياري، والتي تؤسس لجودة الفهم، وسداد الرأي، في ظل الانطلاق من خلفية فكرية محددة، وهي بالنسبة إلينا، في هذا البحث، خلفية

(١) المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، حوارات في علم الاستغراب (النجف: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط. ١، ٢٠٢٠)، ص. ٣٠٩.

تمتحُ من مبادئ الرؤية الإسلامية في تعاملها مع الأفكار، والنظريات.

ولما كانت الجهود المبذولة في مقاربة فكر الاستغراب، في المجال المعرفي الإسلامي، لا تعدو أن تكون محاولات فردية، وليست جماعية، تمثل مشتركًا فكريًا عربيًا إسلاميًا عامًا؛ فإنه من مجموع القواعد المنهجية الناظمة لفكر الاستغراب، والتي لا تشكل بدورها معايير مشتركة متوافقًا عليها[1]، سيتم الاقتصار في بحثنا هذا على جملة من الأفكار المعيارية، التي نحسبها تؤسس لقواعد منهجية، خادمة لفكر الاستغراب، تنتظم أسسًا معرفية، وترمي إلى تحقيق **أهداف، ومقاصد معتبرة**، يمكن ذكر أبرزها فيما يلي:

١-تمكين الباحثين المسلمين من الاطلاع على أسس، ومقومات الحضارة الغربية، وإسقاط الحواجز المعرفية التي تحول دون الفهم المتبادل.

٢-إعادة تقويم المنتوج الغربي في مختلف مستوياته، وفق مناهج، وقواعد إسلامية بانية.

٣-تطوير الذات الإسلامية في إنتاجها للمعرفة الإسلامية، من خلال إعادة استثمار الإنتاج الفكري الغربي المناسب.

٤-تعزيز أسس الحوار، والتواصل الحضاري من خلال الإسهام في تصحيح مسار التلاقح الفكري بين الحضارتين الإسلامية، والغربية، والإنجاز الحضاري، والعلمي المشترك.

المبحث الثالث: فهم الغرب انطلاقًا من فهم الذات

إذا كان من المقاصد التي يحققها فكر الاستغراب، الخروج من دائرة الانبهار التي يعيشها المسلمون تجاه الغرب، دون إغفال الموقع الطبيعي، والفعلي الذي تتبوؤه الحضارة الغربية اليوم، فإن هذه العملية لا تتم إلا بامتلاك أدوات معرفية نقدية، تتيح القراءة العميقة للتجربة الحضارية الذاتية أولًا، ثم التجربة الحضارية الغربية بعد ذلك، ومن هنا، فإن «وعي الآخر وعيًا موضوعيًا نقديًا، سيكون أحد المحفزات الأساسية لاكتشاف الذات، فكرًا، وقيمًا، وأنماطًا حضارية»[2].

إن الاستغراب - في واقع الأمر - محاولة لفهم ذواتنا من خلال التعرف على الغرب، أو انطلاقًا من مرآة الغرب، وليس في الأمر ازدراء، أو استخفاف من الذات، بقدر ما هو بناء، وتصحيح للذات الإسلامية في إطار الثقافة العالمية، فالاستغراب يؤسس لاستنهاض قوي، وشامل لعالمنا الإسلامي؛ لأن فهم الآخر، ودراسته، هو فهم للذات، ودراستها، فالآخر حاضر في ذاتنا، كما أن جدل الأنا والآخر، إنما هو استحضار للآخر؛ بهدف التحرر منه، وهذا ما يكشف في نهاية الأمر عن تمثلات، وقناعات تدفع إلى الانعتاق من هذا الآخر في إطار «استغراب» يحول هذا الآخر من ذات عارفة إلى

(١) إن عدم الاقتناع بكون الاستغراب علمًا، يسوغ لنا القول بصعوبة الحديث عن قواعد منهجية متوافق عليها، فالاستغراب لا يزال حبيس التداول الفكري، وبالتالي فإن إنضاج قواعد، ومعايير تنظمه، يبقى بدوره محدودًا بالرؤى، والتصورات، والخلفيات التي تقف وراءه، كما سبق ذكره.

(٢) محفوظ، مرجع سابق، ص. ٥٧.

موضوع مدروس؛ ولذلك يتعين الإلمام بحضارة الغرب، وفكره كي يكون مستوى النقد عند الباحث المستغرب مؤهلًا للتحرر من التبعية للغرب، وهو ما يسمح بقدر كبير من البحث، واستكشاف الذات، انطلاقًا من ثقافتنا، وتاريخنا، فالذات الحضارية، لها دور في تأصيل رؤية استغرابية متوازنة، لا تَغرُّب فيها، ولا اغتراب؛ إذ يكون الانفتاح في خدمة الذات بتنقيح الوعي الكامن، وتنقيته مما علق به من عناصر دخيلة، أدت إلى انحراف عملية التأريخ، والتحليل النقدي الشامل لمنظومة الحضارة الغربية في تجلياتها المختلفة[١]، «إن الاستغراب في أساسه تعرُّف على الآخر، وتخلص من هيمنته، من أجل البناء الذاتي، ودون توهم الدونية الثقافية، فهو يفترض أن يكون واقعيًا؛ لكن بالمعنى الإسلامي للكلمة، واقعيًا وفق رؤية كونية شاملة، لا اختزالية»[٢]، ثم إن الرؤية النقدية للغرب، لا تقتصر على نقده فحسب، بل تقتضي أيضًا نقد الذات قبل كل شيء، ويأتي على رأس ذلك نقد ذهنية التبعية الفكرية للغرب، التي لا تسمح بتفكيك الممارسات الغربية ذات الأبعاد الاستبدادية.

وهنا تطرح مسألة شائكة، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقاعدة الرجوع إلى الذات، وفهمها قبل السعي إلى فهم الآخر، وهي «أن بعض الباحثين، في نُشدانهم استكشاف الذات، يتوسلون إلى ذلك بمناهج، وأساليب قديمة، كانت مناسبة لعصور ماضية، ولم يظهر ما يحل محلها من مناهج ذاتية، يتأسس بناؤها على سياقات، ورؤى حديثة، فليس في هذه الطريقة ما يبرر الجمود على قوالب، وأساليب متجاوزة، بدعوى الاعتزاز بالأصالة، فكما أنه لا يمكن أن نحقق المعاصرة بإلغاء العصر، لا يمكن أن نلغي العصر بدعوى الحفاظ على الأصالة»[٣]؛ إذ الأصالة تعني إيداع الجديد من المحيط الخاص، مع إمكان الاستفادة من القديم، وفق القناعات، والمبادئ، والثوابت، ومن مميزاتها الأساسية الانفتاح على الواقع في سبيل تفعيله، وتحريكه، لكن يبقى من الخطأ الافتراض أنه من أجل التحديث لا بد من الاغتراب، ومقايضة تاريخنا، وثقافتنا بالتبعية للغرب، فالذي يحصل لبعض مثقفينا، عدم رضاهم عن القديم، في الوقت الذي لا يستطيعون فيه إنضاج الجديد، فتتم الهرولة إلى ما عند الغرب، واستعارة مناهج، وأساليب الحضارة الغربية بإيجابياتها، وسلبياتها، ويتم الخضوع التام لها.

إن القصور في معرفة الأنا (معرفة الذات)، قد يفضي إلى نتائج سلبية، ويفرز انغلاقًا وجمودًا، في حين أن التشوف إلى معرفة الآخر، يفترض سلفًا قدرًا كبيرًا من الثقة فيما لدينا من قيم، وثقافة، وتجارب قصد تنميتها، وتصحيحها، وتقويتها، علمًا بأن ذاتنا الحضارية، تتضمن، مثلها مثل الآخر الحضاري، مجموعة من الإخفاقات، والاختلالات، لكن هذا الآخر الحضاري – وفق هذا المنظور – نحن بحاجة إليه؛ لتطوير ذاتنا، وحاضرنا.

ولعل مما يندرج في إطار فهم الذات، القيام بعملية نقد ذاتي لمسار علاقتنا بالغرب، فلا بد من وقفة نحاسب فيها

(١) معميش، مرجع سابق، ص. ٥٦.
(٢) حوارات في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص. ٢٠١.
(٣) محفوظ، مرجع سابق، ص. ٧٦.

أنفسنا، قبل محاسبة الآخر، مع ضرورة «تأسيس موقفنا من الغرب على أسس موضوعية، بناء على تجاربنا السابقة معه، دون أن نغفل حركة التاريخ، وضروراتها، بالإضافة إلى الدروس المستفادة من الماضي»[١]؛ لذلك يبقى حجر الزاوية في عملية الانفتاح الواعي[٢]، من أجل التعرف على الغرب، وفهمه، هو «الحفاظ على ذاتنا الحضارية، وانتمائنا الإسلامي الثابت، بما يتضمنه من تاريخ، وقيم معيارية، ومبادئ إنسانية خالدة»[٣]، وهو ما يتطلب إعادة تكوين الذات في شرط خصوصيتها، واستنادًا إلى عناصر تراثها، وتجربتها التاريخية، وثقافتها الخاصة، وطبيعة هويتها، وأسئلتها الذاتية، ومشكلاتها، ومن دون ذلك تبقى معرفتنا بالغرب، واطلاعنا على أسس تقدمه، لا تحقق لنا مقاصد نافعة، فنكون قد أنفقنا وقتًا كثيرًا، وجهدًا كبيرًا في حفر، وفحص، واستكشاف بواطن الحضارة الغربية، فقط من أجل معرفة مذاهب في الفكر، والعلم، وتيارات في السياسة، والاجتماع، لا يكاد يستلهم منها شيء، إذا لم نعرف كيف نستفيد، وننتفع منها في حل مشكلاتنا، والإجابة عن أسئلتنا، وتبيّن موقعنا في سياق الحضارة المعاصرة، بالمقابل، فإن «إهمال الذات، وتجاوز أطرها المعرفية، لا يؤدي إلى فهم الغرب فهمًا دقيقًا، بل يؤدي إلى الانبهار به، والتلقي الأعمى لكل ما ينتجه، ويصدره»[٤].

وتبقى أبرز المقاصد التي يؤدي إليها فهم الذات، في سياق فهم الآخر، تفكيك بعض المسلمات، والقناعات التي تسيطر على عقولنا، وسلوكياتنا، ومنها ما يقتنع به الكثير، من كون الاستتباع، واستنساخ كل ما ينتجه الغرب، أفضل لنا، ففي هذا عبودية قاتلة، ينبغي التحرر منها بشكل نهائي[٥]، كما أن العمل على نقد الذات من أجل تطوير إمكاناتنا، وقدراتنا على الإنتاج، والإبداع، يشكل مقصدًا أساسًا في هذا الإطار، وهنا ينبغي التحذير من أدنى محاولة لتجاوز الفارق الحضاري الذي يفصلنا عن الغرب، على حساب إلغاء الذات الحضارية للعالم الإسلامي، بل يمكن القول بأن السعي إلى طي المسافة الطويلة التي تفصلنا عن الحضارة الغربية، عبر تأسيس فكر الاستغراب، وتجاوز معادلة (الغرب الدارس للإسلام المدروس)، لا يمكن أن يتم إلا عبر الحفاظ على هويتنا الحضارية، وثوابتنا الدينية، ولنا في التجربة اليابانية خير مثال على ذلك؛ إذ لم تتخل في نهضتها الحضارية عن ثقافتها، وعاداتها، وخصائصها الذاتية، وإنما قامت في البدء بتركيز، وتنزيل هذه الخصائص من أجل استيعاب، واحتواء التطورات التكنولوجية الحديثة.

---

(١) أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، المثقفون العرب والغرب (القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ط. ١، ٢٠٠٠)، ص. ٢٦٦.

(٢) المقصود بالانفتاح الواعي: الانطلاق من قيمنا، وأصالتنا للأخذ بالمعرفة الحديثة، والتطورات العلمية الجارية في الغرب، فالانفتاح على الآخر ليس تقليدًا له.

(٣) محفوظ، مرجع سابق، ص. ٢٠.

(٤) محمد البنعيادي، نحو فقه للاستغراب (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، كتاب الأمة، العدد ١٣٢، رجب ١٤٣٠، ط. ١)، ص. ٨٩.

(٥) لقد وقف حسن حنفي مع مشكلة التبعية، أو الاستتباع، وقفات عديدة في كتابه: مقدمة في علم الاستغراب. انظر: ص. ٧٤ مثلاً.

المبحث الرابع: الانطلاق في فكر الاستغراب من مرجعية إسلامية

مع كثرة القراءات، والتحليلات، والرؤى في مجال فكر الاستغراب، إلا أن الحرص على توفير رؤية، أو فهم مشترك حول ذلك، يبدو غير ممكن، فالقضايا المرتبطة بالمجالات المعرفية الجديدة، تخضع دراستها، وبحثها إلى الرغبات، والانتماءات، والمصالح، وهي لا يمكن أن تكون موضوعية، ومحايدة بالكامل، وتعتبر الخلفية الفكرية للباحث في هذا المضمار، والمرجعية الأيديولوجية التي يمتحُ منها، أمرًا دالًا على طبيعة المقاصد المراد تحقيقها من وراء فكر الاستغراب، «وإذا كان هنالك من يتحدث عن ثنائية الشرق والغرب، فإن ثنائية الإسلام والغرب، تبقى الأكثر استعمالًا ورواجًا»[(١)]، «فالمقابلة، مهما كانت غير متوازنة، بوضع الإسلام كدين مقابل الغرب، كفضاء جغرافي، فإنها تعبر عن كون العلاقة المراد التحرك في إطارها، سواء بالنسبة إلى المستشرقين، أو بالنسبة إلينا في طموحنا إلى ترسيخ، وتعزيز قواعد، وضوابط لفكر الاستغراب، هي علاقة تجاذب وتفاعل بين حضارتين، فالإسلام إذن كدين، وحضارة، هو الذي تتم مقابلته بالغرب»[(٢)].

وبالتالي، فإن من حقنا أن نبتغي منهجًا في دراسة وبحث الغرب، ينطلق من مرجعية إسلامية، كفيلة بأن تدفع إلى نزع الهالة الكبيرة عن الغرب في نفوسنا، وعقولنا، وذلك كي نرى الأشياء كما هي، أي ننظر، ونتأمل في الغرب، انطلاقًا من أدواتنا المعرفية الأصيلة، فنحن لدينا زخم علمي، وقيمي هائل، ينبغي استثماره لكسر حدة الانبهار بالغرب، وتعزيز الشعور بقوة الانتماء للحضارة الإسلامية[(٣)].

إن الانطلاق في فهم الغرب، من مرجعية إسلامية، تمليه ضرورة شرعية، تُستشف من التوجيهات القرآنية الحاضة على التأمل، والتفكر، والتدبر في سير الأمم، كما تمليه ضرورة التفاعل الحضاري القائم بين الإسلام والغرب، وهو التفاعل القاضي بضرورة تعزيز التعارف الحضاري، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]، فالتعارف بوصفه مبدأ إنسانيًا حضاريًا ساميًا، له أكبر الدور في تقريب الأفكار، والمسافات، ونسج أواصر التعاون، والتواصل، وهو يهدف إلى بناء أسس تفاهم حضاري مثمر، وبَناء، خاصة على مستوى ترسيخ الأبعاد القيمية، والأخلاقية المشتركة، التي يمكن على أساسها إزالة الأحقاد، والعصبيات، ومحو كل أشكال العنصرية والكراهية، ونزع بذور النزاعات، والصراعات، وهو ما يعززه كذلك الالتقاء على أساس من الكليات، والمقاصد التي دعت إليها الأديان، مثل الحفاظ على النفس، والمال، والعرض، مما يعتبر من المشتركات الملية، والحضارية التي يحضر فيها البعد التكريمي للإنسان الذي يضمن له حقوقه

(1) René guénon Orient et Occident, les éditions véga ; Paris, 1983, p. 13.

(٢) حسن عزوزي، الإسلام والغرب: قضايا ومواقف (فاس: مطبعة أنفوبرانت، ط. ٢، ١٩٩٩)، ص. ٥.

(٣) محمد أمين حسن محمد بن عامر، «الاقتباس عن الغرب: ضوابطه وحدوده، أسبابه وآثاره»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، المجلد ١١، العدد ٢٩ (١٩٩٦)، ص. ١٤١.

الأساسية، مثل العدل، والحرية، والكرامة، والمساواة، وغيرها مما يبقى مصونًا، ومحميًا في ظل المجتمعات المؤمنة بحق الاختلاف، والتنوع الثقافي، والإثني، والتعددية الدينية، والحضارية.

إن فكر الاستغراب – من جهة أخرى – ليس عملية بحثية معزولة، بل هو سبيل لتحقيق مشروع الاستقلال الفكري، والثقافي، وهو ما يقضي بالاعتزاز بما نملكه من فكر أصيل، وثوابت دينية واضحة، تعصم من الحديث عن الغرب بأدواته، ومناهجه، وهذا لا يمنع من النظر إلى الاستشراق كقاعدة صلبة في الخبرة المنهجية للاستغراب، فتتم الاستفادة من بعض مناهج البحث المرضية، وتفادي الأخطاء الأيديولوجية، والمنهجية التي وقع فيها، عِلمًا بأن «مشكلة المنهج تبقى نفسها؛ سواء تعلق الأمر بالاستشراق، أو الاستغراب؛ لأن جوهر الإشكال له علاقة بالموقف، والرؤية، وحدود المعرفة بالآخر»[1].

ولا يخفى أن الدراسات، والأبحاث التي أنضجها باحثون عرب، ومسلمون في مجال الاستغراب، مهما سعت إلى تفكيك، وتحليل، ونقد المنظومة الغربية، فإنها تنطلق في الغالب الأعم من رؤية يختلط فيها المنهج الإسلامي بالنزعة العلمانية، من خلال استخدام مقولات الآخر، ومفاهيمه، ومصطلحاته، بل نجد من أصحابها نشطاء متغربين، لا يترددون في نقد كل المقومات الأساسية، والثابتة التي تميز هوية الأمة الإسلامية، ومنهم قوم يشككون، ويتهجمون أحيانًا على مبادئ الإسلام، وقيمه، ومُثُله باسم الدعوة إلى معرفة إبستمولوجية، فكيف يمثل الثقافة الإسلامية في نقده للمجال المعرفي الغربي مَن يقوم بنقد الإسلام.

وفي مرتبة أدنى من هؤلاء، نجد من لا يستطيع الفكاك من الازدواج الثقافي، فهو بقدر ما ينطلق من ثقافته الإسلامية التي نشأ عليها، ينزع في تفكيره، وتحليله إلى توظيف مناهج تغريبية مناقضة، فنلمس نوعًا من الاضطراب، والازدواجية في الإطار المعرفي العام؛ لذلك، فإن من قواعد فكر الاستغراب القائمة على رؤية إسلامية تأصيلية، الانطلاق في دراسة الغرب من مرجعية إسلامية واضحة؛ إذ على الذي يلج ميدان الاستغراب، أن يكون على بصيرة من تصوراته، وأفكاره، ومنطلقاته، «فالانطلاق من مرجعية إسلامية، سيعصم – بدون شك – من الوقوع في تصورات عنصرية، وعرقية خاطئة؛ إذ الفكرة الإسلامية، والثوابت الدينية، والقناعات الفكرية ذات الجذور الإسلامية، كلها منصات حاكمة، وموجهة، لا تتعلق بطبيعة بشرية، أو تصنيف جغرافي، أو عرقي، فأصول الإسلام محفوظة في القرآن، والسنة وثوابته مقررة بالإجماع، وإذا ما تم اعتبار ذلك، وتعزيزه، وترسيخه، كان ما يأتي بعده من مساحات النظر، والنقاش في فكر الاستغراب، أقوم، وأرشد»[2].

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. ٢، ١٩٨٤)، ص. ٩٨.

(٢) إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة عبد الوارث سعيد (الكويت: دار البحوث العلمية، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، ط. ١، ١٩٨٤)، ص. ٤٢.

وإذا كان الاستشراق، وعلى مدى قرون من الزمن، قد انطلق من مركزية غربية / كنسية، فإن ثمة أكثر من مسوغ، يدفع إلى الدعوة إلى انطلاق فكر الاستغراب من مركزية إسلامية، لا يراد لها أن تكون مُضادة، أو مُعادية للمركزية الغربية، ذلك أن الانطلاق من الإسلام الذي لم يكن جغرافيًا، ولا عرقيًا يعزز أكثر تلك النظرة الإنسانية الشاملة المنشودة في مثل موضوعنا هذا، كما أن الانطلاق من الإسلام الذي لا يسمح باحتواء، واستعمار الآخر، سيجعل فكر الاستغراب أكثر موضوعية، وتحررًا من قيود النزعة المتعالية المهيمنة.

إن الذي تقتضيه دراسة المجال المعرفي للغرب، ونقده، امتلاك موقع خاص أصيل، وهوية دينية، وثقافية ثابتة، «لقد أحدث الغرب قطيعة مع الدين، بلغت إلى حد هدم كيان الكنيسة، وتعطيل دورها الروحي، ثم القطيعة مع النص الديني باعتباره مصدرًا معرفيًا غيبيًا، واستبدل ذلك بمرجعية العقل، واعتماد المصادر التجريبية؛ ليصبح ذلك مكونًا أساسيًا من مكوناته الثقافية، والحضارية، وهو ما كان له تأثير خطير على الأزمات الإنسانية، والأخلاقية التي يعيشها اليوم، ونعيش تداعياتها معه، نحن وباقي العالم»[١].

ولا شك أن استبعاد الأساس الغيبي في أية منظومة فكرية، يراد تأسيسها، وإنضاجها من طرف الباحثين المسلمين، لن يكون لها جدوى، وبالتالي، فإن استحضار التوجيه الإسلامي باعتباره مرجعًا وأساسًا لوقاية حرية التفكير، وصيانتها من الانحراف، يعتبر أمرًا ملحًا في سياق الحديث عن قواعد، وضوابط فكر الاستغراب، المؤسس على الرؤية الإسلامية الأصيلة، «لقد كان رفاعة الطهطاوي يحرص باستمرار، على أن يقيم بينه وبين الحضارة الغربية التي أعجب بها فاصلًا يحميه من شر الاندماج، فكان يكثر في كتابه[٢] من الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأخبار العرب؛ ليؤكد هويته الإسلامية، كما أنه كان يستخدم المعايير الإسلامية للكشف عن ثغرات الحضارة الفرنسية، وأهمها الربا، واستهتار الفرد بالقيم الأخلاقية، والدينية»[٣].

«إن التأكيد على أهمية الانطلاق في فكر الاستغراب من مرجعية إسلامية، ينبع من الاقتناع التام بأن البحث في هذا الميدان ليس «وظيفة»، بقدر ما هو «رسالة»، فمعرفة الآخر، والانفتاح عليه، والعمل على نقد مسلماته، ومقولاته التي لا تنسجم مع قناعاتنا الدينية، والفكرية، أمر مطلوب في ديننا، وقد مارسه علماء وفلاسفة الإسلام منذ القديم»[٤]، ففكر الاستغراب لا يمكن أن يكون وظيفة؛ لأننا «لا نتعامل مع الغرب بنفس المنطلقات، والأهداف التي رسمها في تعامله

(١) حوارات في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص. ١٠٠.

(٢) تخليص الإبريز في تلخيص باريز. ويتضمن ستة مقالات وخاتمة، أطولها الثالثة في وصف باريس وحضارتها. وهو من أشهر ما أبدعه الرحالة العرب إلى البلدان الغربية في عصر النهضة.

(٣) الشيخ، مرجع سابق، ص. ١٧٦.

(٤) قد يقال إن هذا جانب واحد من جوانب فكر الاستغراب، يركز على الجانب الديني، وهذا صحيح، ولا إخلال فيه، فقد كانت منظومة الاستشراق نفسها قد استهدفت في منطلقاتها الأولى التركيز على الأبعاد، والقضايا الدينية للإسلام، انظر: النملة، الشرق والغرب، مرجع سابق، ص. ١٩١.

معنا»[1]، ذلك أن مبادئ ديننا تمنعنا من سلوك نفس الطريق، فنحن مطالبون بالعدل مع الآخر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وفضلًا عن ذلك، فإن فكر الاستغراب المنطلق من مرجعية إسلامية، والقائم على مقاربة نقدية موضوعية، تتأسس على مبادئ ثابتة، كفيل بأن يحقق مقاصد، منها الحد من التبعية، والانسياق الأعمى وراء كل ما يصدر عن الغرب[2]، كما أن من شأنه كسرَ شوكة التعصب ضد الآخر، والتغلب على كل ما يعتبر مظهرًا سلبيًا من مظاهر العلاقة مع الغرب؛ إذ لا يخفى أن من أهداف، ومقاصد الاستغراب القائم على التصورات الإسلامية صياغة رؤية للغرب على حظ كبير من الموضوعية، بحيث تكون قمينة بإبراز السبل الناجعة في التعامل معه على ضوء تلك الرؤية، وهو ما قام به بعض زعماء الإصلاح في الفكر الإسلامي، أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، وغيرهم ممن أعادوا، ودعوا إلى إعادة تفعيل مفهوم الذاتية، بمعنى إعادة توجيه الذات الدارسة نحو الذاتية الإسلامية، لكن دون القطيعة مع الغرب في سياق الانفتاح على المعرفة الإنسانية، فهناك على سبيل المثال مرجعيات فكرية، وفلسفية، قاربت حقيقة الغرب، وأنتجت أفكارًا، ونظريات تفاوتت على مستوى الانطلاق من المرجعية الإسلامية، وذلك من قبيل أعمال مالك بن نبي، وعبد الوهاب المسيري، وإسماعيل راجي الفاروقي، وغيرهم[3] ممن يجدر بفكر الاستغراب الاهتمام، بتقويم ما أنجزوه من أعمال، وإعادة قراءتها بما يفتح آفاق البحث، والاستكشاف أمام الباحثين المعاصرين، بالمقابل هناك أسماء لامعة في هذا المجال، رامت البحث في الاستغراب، لكن من خلال توظيف منظومة المناهج والأساليب الغربية، وهو ما لا ينسجم مع الرؤية الإسلامية القاضية باستعمال، وإنتاج الأساليب الخاصة؛ إذ وفق هذه الرؤية «لا يمكن معرفة الغرب من خلال استخدام أساليب ومناهج القراءة الغربية التي لا يمكن إلا أن تؤدي إلى تقديم صورة إيجابية عن الغرب، في حين أن فكر الاستغراب وفق المرجعية الإسلامية، سوف ينضح صورة أخرى مغايرة عن الغرب»[4].

فعلى سبيل المثال، لا يمكن تفكيك المنظومة الغربية بما تتضمنه من آفات، وانحرافات بواسطة المناهج، والأساليب الغربية، فالمنظومة الأخلاقية في الغرب - كما لا يخفى - تبقى نسبية، ونظرة الغربيين إليها حسية مادية، تستند إلى إشباع الرغبات، والحاجات، ولا يمكن لفكر الاستغراب القائم على المرجعية الإسلامية أن يدرس، وينتقد الفكر الأخلاقي الغربي على أساس المفاهيم، والتصورات الغربية، علمًا بأن الغرب نفسه بدأ بالاعتراف بضرورة الروحانيات،

(١) يان وأفيشاي، مرجع سابق، ص. ٦٨.

(٢) الفاروقي، مرجع سابق، ص. ٨٩.

(٣) مالك بن نبي في كتابه «الصراع الفكري في البلاد المستعمرة»، وعبد الوهاب المسيري في كتابه «دراسات معرفية في الحضارة الغربية»، وإسماعيل راجي الفاروقي في كتابه «أسلمة المعرفة».

(٤) انظر عن بعض المواقف المتباينة: البنعيادي، مرجع سابق، ص. ١٤٠ فما بعدها.

والأخلاقيات، فراح مفكروه، ومنظروه يفتشون عن روحانيات مختلفة، بوذية، وصوفية لرأب الصدع في البنيان الذي أنتجته في جانبها المادي المتطرف، بل هناك إحالات في كتابات ثلة من فلاسفة الغرب على بعض كبار علماء الإسلام الروحانيين، أمثال الغزالي، وابن سينا، وابن خلدون، والبيروني، وغيرهم ممن يمكن اعتبارهم ممثلين للمصادر التاريخية لفكر الاستغراب[١]، وهو ما يعبر عن وجود نوع من الاهتمام بالمسائل الدينية، والروحية، مما يدفع بالمشتغلين بفكر الاستغراب إلى عدم الوقوف عند الآراء، والأفكار العلمانية، أو الإلحادية، وتجاوزها إلى الآراء الدينية، والروحية كذلك.

إن هذا المثال الذي قدمناه يدفعنا إلى القول بضرورة التمييز بين ما ينتجه الغرب من علوم دقيقة، واكتشافات طبية، واختراعات تكنولوجية، والتي تعد من قبيل مجالات التقدم، والتطور المتاحة لجميع البشر، وبين ما ينضجه من أفكار، ونظريات في العلوم الإنسانية، والاجتماعية، تعكس تصورات فلسفية للإنسان، والغاية من وجوده، فضلًا عن البناء القيمي الذي يحكمه، مما ينعدم فيه استحضار العلاقة مع القضايا الغيبية، والدينية، وهو ما لا يمكن لنا من خلال فكر الاستغراب الأخذ به، والسير على منواله، ما دام لا يعدو أن يكون تجربة خاصة، وفق مفاهيم وقناعات الآخر، أنتجها باحثون، ومنظرون غربيون في مجال العلوم الإنسانية، وقدموا في إطارها مجموعة من النظريات المتنوعة، والمتناقضة أحيانًا، وينبغي التنبيه هنا إلى أن التقدم الغربي الهائل في الميادين العلمية، والاقتصادية، لا يبرر الأخذ عنه في المجالات ذات الصلة بتحكيم المبادئ، والقناعات، والمرجعية الدينية عمومًا، لذلك فإن مجموع العلوم الإنسانية التي أنتجتها مختلف الدوائر الغربية، هي انعكاس لتحولات، ومتغيرات فلسفية، واجتماعية سعت إلى دراسة الإنسان، وفهمه في سياق زمني، ومكاني خاص.

ولعل من أبرز **المقاصد** التي يمكن لهذه القاعدة المنهجية تحقيقها، هو الاهتمام بالجوانب الدينية، والاعتقادية التي يقوم عليها الغرب الكنسي، وهو اهتمام غائب في كتابات الباحثين العرب، والمسلمين المنطلقين من خلفيات فكرية علمانية، ومن بين القضايا التي يمكن مقاربتها في دراسة الغرب، وفهم الأسس الدينية التي يقوم عليها البحث في أسباب تخليه عن الدين، أو محاربته للدين، وقطعه العلاقة مع الغيب في المرحلة المعاصرة، وبحث مدى اتساع رقعة الفلسفات الإلحادية في الغرب، هذا فضلًا عن بحث سبل إبراز علاقة الكنيسة الغربية بتدين النصارى، مع فضح الانشقاقات، والانحرافات، والتحريفات الحاصلة في البناء العقدي للمسيحية[٢].

(١) محمد عبد الحليم بيشي، «الجذور التاريخية لعلم الاستغراب في التراث الإسلامي»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، المجلد ٣٧، العدد ٢، ١٤٤١/ ٢٠٢٠)، ص. ١٥٢.

(٢) يمكن الاستفادة هنا من تخصصات تاريخ ومقارنة الأديان بكليات الشريعة والدراسات الإسلامية بمختلف جامعات العالم الإسلامي، فكثير من التكوينات خاصة على مستوى الدراسات العليا، قمينة بأن تسهم في تعزيز الأبحاث والدراسات الاستغرابية.

المبحث الخامس: الغرب ليس شرًا، كله وليس خيرًا كله

لا شك أن الغرب ليس كتلة واحدة سياسيًا، وثقافيًا، واجتماعيًا، فالممارسة الديمقراطية، ومستويات التقدم والتطور التكنولوجي تتفاوت، كما أن المواقف والسياسات المعلَنة خاصة على مستوى التعامل مع المسألة الدينية، وتنزيل مبادئ العلمانية تختلف، وتتباين، فالغرب ليس «كلًا» متجانسًا، ومتناغمًا في أفكاره، ومقتضيات تقدمه، وهذا يعني صعوبة الحكم على الغرب برمته؛ ولذلك «عندما انتصب الاستعمار الأوروبي أمام زعماء الإصلاح، والنهضة العرب مكتسحًا، ومحتلًا للبلدان الإسلامية، انقسموا في مواقفهم من هذا الغرب ثلاثة أقسام:

الأول: قال برفض كل ما جاء به الغرب جملة، وتفصيلًا، ودعا إلى التمسك بأصول الإسلام، وقيمه، وأخلاقه.

الثاني: قال بأن نأخذ من الغرب ما نحتاج إليه من تقنيات حديثة، مما لا يتعارض مع قيم الدين، ومقاصده.

الثالث: قال بأن نأخذ الغرب كما هو؛ لأنه غرب متقدم عسكريًا، وعلميًا»[1].

والواقع أن هذه المواقف لا تزال سارية منذ القرن الماضي، والذي يهمنا بهذا الصدد، ونحن نروم بلورة قاعدة منهجية، يمكن أن تفيد الباحث في الاستغراب، وينظر من خلالها إلى عين الأشياء نظرة موضوعية، هو «الوقوف موقف التوسط لدى التعامل مع الغرب، والنظر إليه بروح إنسانية، فالغرب ليس شرًا كله، وليس خيرًا كله»[2]، ففي دراسة الغرب، نعلم على وجه العلم واليقين، أنهم في البلدان الغربية ﴿ليسوا سواء﴾[3]، وعرفنا فيما يتفقون وفيما يختلفون، وما الذي يفرقهم، وما الذي يجمعهم، ومتى نتعامل معهم في جوانب، ومجالات معينة، ومتى لا يسعنا إلا رفض ما يصدر منهم، وبالتالي، فإنه لا بد من التمييز بين النافع، وغير النافع، وبين ما هو خير لنا، وما ليس كذلك، وإذا تم ضبط هذا الميزان، وهو عمل جليل واسع، لا يتأتى إلا بعد بذل مجهودات ضخمة في هذا المضمار، سيكون بالإمكان فهم كثير من الأسئلة الكبرى المطروحة دائمًا في علاقتنا بالغرب، ومن هذا المنطلق يمكن لفكر الاستغراب أن يحقق مقاصده في السعي إلى فهم الآخر فهمًا صائبًا ومفيدًا، من أجل التعامل معه تعاملًا تنعكس إيجابياته، ومنافعه علينا مباشرة.

إن طبيعة الأشياء في حركية الحياة تقتضي وجود الشيء النافع، وغير النافع، والفكر الصالح، والفكر الطالح، ومن ثم، فلا يستساغ الأخذ بالرؤية القائلة بالغرب الحسن، والغرب القبيح، فالغرب يفرز أمورًا حسنة، وأمورًا قبيحة، وينبغي على الباحث في الاستغراب جعل هذا المعطى حاضرًا في كل مقاربة علمية، من أجل فهم الغرب فهمًا موضوعيًا، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض الأحكام الحضارية تجاه الغرب، تبدو غير واقعية، فهناك تيارات إسلامية محافِظة،

(١) حوارات في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص. ١٦٤، وينظر تقسيم آخر للنملة في كتابه: الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص. ٢٨.

(٢) محفوظ، مرجع سابق، ص. ٨٧.

(٣) جزء من الآية: ١١٣ من سورة آل عمران.

تسعى إلى تصوير الغرب بصورة فيها قدر كبير من التشويه، والشيطنة، «فالغرب مُنحَل، وفاسد، وعنصري إمبريالي، والحضارة الغربية حضارة هشة، متهافتة في طريقها إلى الزوال»[(١)]، بالمقابل هناك اتجاه يمثله المثقفون العلمانيون الذين يتبين من محاولاتهم النقدية، والتفكيكية للمنظومة الغربية، أنهم يصلون إلى نتائج سلبية متشابهة من حيث إدانة الغرب، واتهامه بأنه مغرض إمبريالي، تحذوه الرغبة دائمًا إلى السيطرة على الآخر، واحتوائه، لقد أظهر إدوارد سعيد في كتابه «الاستشراق» موقفًا نقديًا لمنظومة الاستشراق في إطار الكيان الغربي، لكنه لم يذهب إلى أن الغرب شر كله، ولا عمل على تعليق جميع مآسي، وأزمات الشرق على شماعته، بل انتهج طريقًا آخر، كلفه جهدًا كبيرًا، وهو طريق النقد الموضوعي الهادف، فهو يرى أن الغرب في حركيته، يسعى دومًا إلى استيعاب، وإدماج الحضارات، والثقافات الأخرى في منظومته، وهو وإن كان يعيش في أزمات، إلا أنه يتميز بديناميته، وقدرته على إنتاج نفسه عبر عمليات النقد المستمرة، من هنا تأتي أهمية دراسة الغرب، وفهمه، انطلاقًا من الاعتبار الواعي بمعطيات، ومكاسب الحضارة الغربية التي تشترك البشرية جمعاء عبر الأجيال، في صياغتها وإفرازها عبر التراكم الحضاري.

فهذه القضايا نأخذ بها، ونستفيد منها في حركة الحياة، فلا ننكر أن الغرب قد أنجز حضارة مادية فائقة، جاءت بالحلول الجاهزة، والعملية لجل المشكلات، والتحديات، لكن بالمقابل، من الصعب القول بأن الغرب يبقى نموذجًا مثاليًا في جميع المجالات، وينبغي الاستسلام للمرجعية الغربية في كثير من القضايا الإنسانية، والاجتماعية، والفكرية التي لا تتفق مع الرؤية الإسلامية.

إن الغرب إذا كان مفهومًا يحيل على العقل، والفلسفة، والتنوير، والبناء الحضاري، والتقدم العلمي، والحرية، والرخاء، كمظاهر لا يمكن إنكارها، أو التقليل من أهميتها، فإنه بالمقابل يحيل كذلك على حب السيطرة، والاستعمار، والإقصاء، والاستعباد، مما سبب الكثير من الدمار عبر العالم، وهو ما لا يمكن إنكاره كذلك، ولعل هذا الجمع بين الإنجازات الإيجابية، والآثار السلبية للحضارة الغربية، هو الذي لا يملك الباحث في الاستغراب، إلا أن يدفعه إلى الأخذ في الاعتبار بأن محاولة فهم الغرب، واستيعاب الأسس، والعلائق التي تقوم عليها حضارته تقتضي النظر إليه، باعتبار كونه ليس خيرًا كله، وليس شرًا كله، ويرى د حسن حنفي أن «البعض من الباحثين العرب والمسلمين، قد اتخذوا من الغرب موقف الرفض المطلق، كنوع من الدفاع عن الذات، والهوية، وهو خطأ، كما أن القبول المطلق يعتبر كذلك خطأً، ولذلك يرى أن الواجب يفرض أن نقف من الغرب موقف التحليل العلمي الرصين»[(٢)]، فلا بد من الوقوف على أرض صلبة من أجل الدراسة الواعية، والفهم السديد للغرب، كمنظومة متكاملة على المستويين العلمي التكنولوجي، والقيمي الأخلاقي، نظرًا للعلاقة الوثيقة التي تحكم الرباط بينهما؛ إذ مهما حاولنا الاقتصار على اقتباس ما هو نافع،

(1) Bernard lewis; *op cit,* p. 102.

(٢) حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص. ١٠٤. بالمقابل يبالغ حنفي عندما يذهب إلى أن من مهام الاستغراب القضاء على المركزية الغربية.

ومفيد في الغرب، فإن التأثيرات الجانبية على مستوى الأفكار، والمبادئ، والنظريات تبقى متسللة إلى عقولنا، وممارسة حياتنا، «والمجتمع الحي والحيوي، هو الذي يمكن بحيويته من التفاعل مع المنجز العلمي، والتقني دون أن تتسرب أيديولوجيته، وفلسفته المغايرة»[1]، وقبل عقود من الزمن، رأى المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله «أن الاستعارة من أمور حضارة ما أمر صعب، وهذا يعني أنه لا يمكن أخذ إنتاج حضارة ما، والعمل في ذات الوقت على تجنب أفكار تلك الحضارة، وذلك لأن معظم المنتوج المادي الذي ينضجه الغرب، هو حامل لجينات فكرية معه»[2].

المبحث السادس: عدم فهم الغرب من منظور عدائي

يمثل هذا المبحث قاعدة جوهرية، تختلف عن سابقتها، وهو ما يتضح من التحليل القائم هنا وهناك، ومعلوم أن كثيرًا من الباحثين، يميلون إلى وضع الاستغراب مقابلًا للاستشراق، وكأنه رد فعل طبيعي ناشئ عن الإحساس بمرارة الحيف الذي أحدثته منظومة الاستشراق في دراستها للشرق عمومًا، وللإسلام، وحضارته على وجه أخص، من تَجَن واسع، وتشويه واضح، فناسب أن يستفيق الوعي الإسلامي المعاصر على ما تستلزمه المرحلة من مواجهة الهيمنة الغربية، التي جعلت من فكر الاستشراق مجالًا دارسًا، وعارفًا بالإسلام الذي لبث مدروسًا ومنظورًا إليه على مدى قرون من الزمن، وهذا طرح معروف لدى النخب الفكرية التي تقارب بالبحث، والدراسة، موضوع فكر الاستغراب، انطلاقًا من مبدأ الضدية، ورد الفعل إن على مستوى الشكل، أو على مستوى الموضوع، إلا أنه في الواقع ينبغي عدم النظر إلى فكر الاستغراب، مزاحمًا للاستشراق، أو معاديًا له، فهو لا يعدو أن يكون تأسيسًا أبستمولوجيًا، ومعرفيًا للتعرف على الحضارة الغربية في تاريخها، وفكرها، ونظمها، ومرتكزات تقدمها، فضلًا عن ملامح توجهاتها حاضرًا ومستقبلًا، فلا يمكن فهم الغرب، والسعي إلى معرفته من منظور عدائي خاضع للمواجهة، والندية، ورد الكيل بمكيالين، كما أنه لا ينبغي أن نتعامل من موقف انفعالي، وحماسي ضد الغرب، فنعتبر أنفسنا مهاجِمين للاستشراق بتأسيس فكر مقابل، فإن «الجواب عن الاستشراق ليس هو الاستغراب»، كما يقول إدوارد سعيد[3]، وتحقيق المقاصد المنشودة من فكر الاستغراب، يقتضي تجاوز الذاكرة التاريخية المشحونة بمحطات العداء بين الشرق والغرب، وتجاوز المواقف السلبية البالغة الازدراء بالإسلام والمسلمين، التي عبر عنها الاستشراق في مختلف أدواره، وعلى امتداد مدارسه، واتجاهاته، فصورة الآخر تحيل في الحالتين على الواقع الذي بُنيت فيه، «فعندما يكون المجتمع في قوته، وتكون ثقافته في مدها لا يشكل الآخر مشكلة، وعندما يفقد المجتمع قوته، ومناعته، وينكمش دفاعًا عن الذات يصبح الآخر عدوًا لا يرى غيره»[4].

فالاستغراب لا يمكن أن يكون طرحًا أيديولوجيًا موجَهًا، وهو ليس نوعًا من الاستشراق المضاد؛ لأننا لا نملك

(١) محفوظ، مرجع سابق، ص. ٩٤.

(2) Malek Ben Nabi, *La lutte ideologique en pays colonisé* (Beyrouth, 1957), p. 25.

(٣) سعيد، مرجع سابق، ص. ٣٥٣.

(٤) صورة الآخر، العربي ناظرًا ومنظورًا إليه. تحرير: الطاهر لبيب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط. ١، ١٩٩٩)، ص. ٢٢٧.

القيام بما قام به المستشرقون على توالي القرون لأسباب عديدة، منها:

أولًا: إننا لا يتوافر لدينا اليوم فكريًا، وحضاريًا قدر كاف من الكفاءة المطلوبة، والتقدم الفكري الذي يسمح لنا بإنتاج منظومة للاستغراب، بنفس القوة، والزخم التي تحقق بها الاستشراق.

ثانيًا: إذا كانت هناك طموحات، ونوايا لدى بعض مثقفينا، ومفكرينا ترمي إلى تشويه صورة الغرب، وتمييع الحضارة الغربية؛ فإننا لا ننكر عدم توافرنا على قوة النفوذ، والهيمنة السياسية، والاقتصادية؛ لتحقيق تلك الطموحات، فإذا كان الاستشراق يمثل جانبًا من المشروع الهجومي الاستعماري لاحتلال الدول الإسلامية، قبل أن يصبح فيما بعد منظومة فكرية ذات أعلام، ومعالم، ومدارس، فإن الاستغراب لا علاقة له بأي مشروع استعلائي – هجومي – وذلك لاختلاف الحواضن التاريخية، والفكرية التي تَطور في إطارها كل منهما.

ثالثًا: إننا في ثقافتنا يتوافر لدينا تراث رحب من القيم الأخلاقية، التي لا تسمح بتشويه صورة الآخرين، والاعتداء عليهم، كما كان صنيع المستشرقين في رحاب حركات الاستعمار، وبعدها، هذا مع أن طبيعة الأشياء «تقتضي أن الإنسان عندما يكون في موضع المنظور إليه، فأول ما يعبر عنه هو عدم ارتياحه لنظرة الآخر إليه، وهو لكي يبرر عدم ارتياحه يختار من النظرات، أكثرها تشويهًا لصورته»[(١)].

إنه في الوقت الذي تعمد فيه كثير من المستشرقين تشويه صورة الإسلام، والمسلمين، والحرص على تضخيم الصور السلبية في سلوكيات المسلمين، وتصرفاتهم، فإن فكر الاستغراب لا يطمح إلى تحقيق ما يشبه ذلك، بل يؤمل أن يكون فكرًا موضوعيًا، لا يتعمد الإساءة، والتشويه، بقدر ما يسعى إلى التعرف الشامل على الحضارة الغربية تاريخًا، وتجربة، وفكرًا من أجل فهمها الفهم الصائب، واستيعاب عوامل تقدمها، وريادتها في مختلف العلوم والفنون.

وهنا يتحقق **مقصد معرفي أساس**، هو «أهمية الانتقال من فكرة استعداء الغرب، إلى تعزيز فكرة التنوع الثقافي، والاعتراف بالاختلاف من أجل تجاوزه»[(٢)]؛ إذ من المهم، كما يقول تزيفتان تودوروف، «إدراك أن صورة الآخر تحيل إلى واقع مَن يَبنيها في إطار من الإقرار بالاختلاف، كما تعبر عنه أكثر مما تحيل إلى واقع من بُنِيت صورته»[(٣)].

المبحث السابع: امتلاك المعرفة الضرورية لمقاربة، وفهم الغرب

«إذا كان الاستشراق قد اعتبر البوابة الكبرى التي من خلالها تعرف الغرب على الحضارات الشرقية، ومنها الحضارة الإسلامية؛ فإن الذي ينبغي التسليم به في هذا الصدد، هو أن الغرب استطاع امتلاكها بامتلاكه المعرفة بها»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق، ص. ٢٦.

(٢) حسن عزوزي: الإسلام والغرب: قراءات معاصرة (فاس: مطبعة أميمة، ٢٠١٢)، ص. ٥١٠.

(3) Tzevetan Todorov, *Nous et les autres* (Paris, le seuil, 1ère éd.,1989), p. 32.

(٤) سعيد، مرجع سابق، ص. ٢٢٣.

إن معرفة، واستيعاب الإمكانات الغربية الهائلة في إنتاج العلوم، والمعارف المختلفة، تساعد حتمًا على تكوين رؤية واضحة عن الأسس المنهجية، ومراحل التطور التي عرفها الغرب في مسيرته النهضوية، كما أن الإلمام بهذه المعرفة الشاملة عن الغرب، تسمح بتلمس موقعنا في العالم من خلال التعرف على مواطن القوة، والضعف التي تطبع أمتنا الإسلامية.

إن فكر الاستغراب – كما كان الشأن، ولا يزال مع الاستشراق – يقتضي التوفر على رؤية شاملة، ودقيقة، ومتناغمة عن كل ما يتعلق بالغرب، خاصة في حدود ما هو ضروري في هذه المعرفة من أجل تعميق الرؤية، وتجنب الملاحظات السطحية، والانطباعات الخاطئة، فضلًا عن الأحكام المسبقة، مما يجدر بالباحث في فكر الاستغراب أخذه بعين الاعتبار، تحقيقًا لمقاربة أجدى، وفهم أبلغ لهذا الغرب المراد بحثه، ودراسته بحيث يصبح لدينا مجال فكري، ومعرفي دقيق لفهم الغرب على مستوى اللغة، والتاريخ، والفكر، والنظم الثقافية، والسياسية، والاجتماعية المختلفة.

فهناك حاجة ملحة لفهم الآخر في مختلف أبعاده، ووعي طبيعة حراكه، واستيعاب الدلالات الحضارية لتفوقه، ولا أظن أنه مجرد ترف فكري، فالفهم العميق للغرب، إنما يتأتى عبر فهم الأسس العلمية، والمعرفية، والتطور الفكري، والحضاري للغرب المتقدم، لذلك ينبغي أن تتظافر جهود المفكرين، والمهتمين بالمجالات السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية من أجل فهم الغرب من مختلف جوانبه، وأبعاده، وصولًا إلى تكوين معرفة شاملة، ورؤية استراتيجية هادفة، تسمح بمعرفة كيفية التعامل معه.

إن دراسة ظاهرة ما، والعمل على فهمها، وتحليلها، يقتضي مقاربتها كحالة متكاملة، يحضر فيها كل ما له علاقة بموضوع الدراسة؛ لأن الإشكال هنا له علاقة بالموقف، والرؤية، وهو ما يقتضي التوفر على معرفة شاملة لذلك، فمن قواعد، وضوابط الفهم السديد للمنظومة الغربية في شمولها، وأبعادها المختلفة، دراسة الغرب بوصفه «كُلًا متكاملًا»[1]، فالمنهج التجزيئي القاضي بالفصل بين مختلف الحقول، يفتح المجال للتعاطي الانتقائي المفضي إلى قبول الأفكار، والآراء بما يوافق أمزجتنا، والإعراض عن الآراء المخالفة لقناعاتنا، ويزيد الإشكالية تعقيدًا أن هذه المواقف – أيًا كانت طبيعتها – غالبًا ما تتخذ بناء على قراءة سطحية، أو مجتزأة، أو منفعلة، أو مستعجلة للغرب، بينما «الأصل أن يكون الفهم الشمولي، والدراسة المتأنية، المدخل إلى اتخاذ المواقف، وفقًا للقاعدة المنهجية التي تؤكد أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره»[2]، من هنا كانت قاعدة امتلاك المعرفة الضرورية لمقاربة الغرب، وفهمه أساسية في حركة الاستغراب، فعلى

(١) يرى بعض الباحثين أن تعاملنا مع الغرب ككتلة واحدة، أو ككيانات متعددة، يتوقف إلى حد ما على المنظور الذي ننظر به إليه، فإذا كنا نتحدث عن الغرب من حيث إنه الآخر المختلف الذي نريد تكوين رؤية استراتيجية تجاهه، فعندئذ يمكن النظر إليه ككيان واحد، أما إذا كنا ننظر إليه من حيث الثقافات، والأفكار: حيث التنوع الجغرافي، والسياسي، فالأمر يقتضي النظر إلى الغرب ككيانات متعددة. انظر: حوارات في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص. ٢٦٦.

(٢) البنعيادي، مرجع سابق، ص. ٢٤.

سبيل المثال يفتقر العالم الإسلامي إلى الباحثين المهتمين بالفكر الغربي، والذين يتمتعون بتحليل عميق، وجذري للحداثة الغربية على مستوى خلفياتها الفلسفية، والنظرية، ولعل ما نحن بحاجة إليه بهذا الصدد، هو تحقيق مقاربات، فالمطلوب هو تحقيق مقاربات منهجية لفهم الغرب، مبنية على استيعاب شامل، ومتكامل للتراكم المعرفي المتنوع الحاصل في الغرب سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، «فنحن نتحدث عن ستة قرون من تاريخ الفكر الغربي»[١]، ولا ننكر أننا اليوم بالرغم من وجود محاولات، وجهود فردية في دراسة الغرب، فإننا لا زلنا في أول الطريق، حيث بوسعنا الحديث فقط عن زوايا محدودة، ومجزوءة من الفهم، ترتبط بمفاهيم، وقضايا محددة لها صلة بفكر الاستغراب، ولا أقصد هنا في هذا السياق إدراج ما تراكم في ثقافتنا، من ردود واسعة على الغرب، حين يتم النظر إليه عدوًا في علاقته بالإسلام، فهذا الأمر قد حصل فيه تراكم، ويغلب عليه نهج الحماسة، والانفعال أكثر من الموضوعية، والمنهج العلمي، وسيكون من الإسراف إهمالها وإلغاؤها، بل ينبغي قراءتها واستيعاب المفيد منها؛ لكي يسهم في إغناء، وإرفاد فكر الاستغراب في الجانب النقدي منه للفكر الغربي.

من جهة أخرى، يقتضي الوصول إلى معرفة شاملة بالغرب معرفة لغاته، وآدابه، ومسارات تاريخه الطويل، وما يتعلق بتحولات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية الغربية، كما أن معرفة الغرب «تتطلب معرفة عقيدته، ومنظومته القيمية التي يؤمن بها، ويسعى إلى تحقيقها، وكذا قراءة واقعه بكل إمكاناته، ومكوناته، وثقافته، كامتداد لتاريخه، ووضع هذا الواقع ضمن مسيرته الحياتية، ومن ثم الخلوص إلى نتائج علمية، وموضوعية لحاله الذي يُبَصر بكيفية وضع خطة للتعامل معه»[٢].

ولا شك أن شرط حصول معرفة شاملة بالغرب من أجل فهمه فهمًا جيدًا، لا ينحصر تحقيقه فيما ينبغي علينا الاجتهاد من أجل تحصيله، بل إن هذا المشروع يساعد على إنجازه الاطلاع، كذلك على ما قدمه مثقفو، ومفكرو حضارات، وثقافات أخرى في إفريقيا، واليابان، والهند، وسواها في نقد الغرب، وتفكيك مقولاته، ونظرياته[٣]، وهنا لا بد من التفكير في إيلاء الترجمة، باعتبارها ضرورة للتعرف على حقيقة الغرب، وفهمه، ثم نقده موقعَها المطلوب في إنجاح مشروع تأسيس فكر الاستغراب، فالأمم التي تبتغي الانعتاق من التخلف، تبذل جهودًا ضخمة من أجل التسريع بترجمة الأعمال الأجنبية المفيدة[٤]، وإذا كنا نمارس الترجمة منذ عقود من الزمن، ولم ننتقل بعد إلى مرحلة التعرف الجيد،

(١) هذا إذا لم نسع إلى الرجوع إلى الوراء أكثر، علماً بأن الاختلاف حاصل بين الباحثين المهتمين حول الفترة الزمنية التي امتد منها المفهوم الجغرافي للغرب، انظر:
Norman Daniel , *Islam et occident, traduit de l'anglais par Alain Spiess - Louvain,* 1993, p. 24.

(٢) البنعيادي، مرجع سابق، ص. ١٣.

(٣) انظر تفصيلاً لذلك في بحث الدكتور معميش السالف الذكر، ص. ٤٢ فما بعدها.

(٤) انظر في مجال تأثير النقل والترجمة: علي بن إبراهيم النملة، النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط. ٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص. ٢٠٠.

والشامل عن الغرب، فإن ثمة فجوة زمنية تفصل بين ما ينتجه الغرب، وينشره، وبين ما يتم تعريبه، وهذا إشكال يكفي وحده دليلًا على أسباب تأخر مشروع التعرف الشامل على الغرب.

إننا بحاجة إلى فكر استغراب يجلي المضمون الحقيقي، والشامل للغرب السياسي، والثقافي، والفكري على النحو الذي يسمح لنا بالتمييز بين أبعاده، ومستوياته المختلفة؛ إذ من الواضح أن ما يراد لنا أن نعرفه عن الغرب، هو ما يرغب الغرب نفسه، أن نعرفه عنه، وهو «النظر إلى المنظومة الغربية كوحدة متجانسة، متمركزة على ذاتها، ومعبرة عن نفسها، كهوية واحدة منسجمة»[1]، في حين يتجلى المقصد الأساس من ضرورة امتلاك المعرفة الشاملة لمقاربة فهم الغرب في تفكيك هذه الدعوى، والكشف عن حقيقة هذا الكيان في تعدد هوياته، وتنوع تمظهرات حضارته، وتمايز ثقافات شعوبه...إلخ.

إن طموح تحقيق معرفة شاملة بالغرب، بهدف فهمه، واستيعاب مقوماته له مقصدان:

أولهما: «تعزيز نوع من الشراكة في إدراك مشمولات الحضارة الإنسانية، التي تعمل مختلف الحضارات على بنائها، وإغنائها، وتقويم مسارها»[2]؛ إذ في فهم الحضارة الغربية من مختلف جوانبها، ما يسمح بإعادة تكوين تصور للذات في علاقتها مع التراث، ومع الآخر من خلال استعادة الشعور بوجودنا كشركاء في بناء الحضارة، لنا ثوابتنا، ومتغيراتنا، ولنا هويتنا، وثقافتنا، فالحديث كلما أوغل في تشخيص الفروق بين العالم العربي الإسلامي، وبين الغرب، كلما ازدادت حدة الاختلاف، فوجود مشتركات مع الغرب، يدخل في استراتيجية الفهم، كما ينبغي أن لا ننسى أن القاعدة الأساسية لهذه المشتركات، والتي يجب أن تشكل قاعدة لاستراتيجية الفهم، هي الدائرة الإنسانية، ففي نهاية المطاف، لا بد من استحضار هذه القاعدة[3].

ثانيهما: إعادة اكتشاف شروط نهضتنا من خلال استيعاب الآثار الإيجابية، والسلبية التي تركها صعود الغرب، ومجده في السياق الحضاري المعاصر، وكذا من خلال الاعتبار بما يولده بروز غرب متقدم، ومتفوق من استفزاز، وتحفيز على إعادة اكتشاف الذات، ومعالجة الخلل، وتجاوز العراقيل، والعقبات التي تحول دون رسم طريق جديد للنهوض، والإقلاع الحضاري.

ولا شك أن الظروف الحالية الحرجة التي مر بها العالم الإسلامي، تحتم على النخب الفكرية – أكثر من أي وقت مضى – المعرفة الشاملة، والفهم الدقيق للحضارة الغربية التي يخضع لها في نواح عديدة، ومجالات مختلفة، فقد تدفع المعرفة الضرورية الشاملة المصحوبة بفهم جيد، ودقيق إلى بلوغ مستوى أفضل في دراسة الغرب، وإعادة اكتشافه.

---

(1) Norman Daniel*; op cit,* p. 24.

(٢) وهذا ما تسعى إلى تعزيزه مختلف مبادرات الحوار الحضاري، وتحالف الحضارات، وتعارف الحضارات، والتي تدعو جميعها إلى نوع من الشراكة في البناء الحضاري. انظر بحث الدكتور حسن عزوزي: من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، ضمن الكتاب الجماعي: تعارف الحضارات، من إعداد د زكي الميلاد (دمشق: دار الفكر ٢٠٠٦)، ص. ٢٠٠.

(٣) حوارات في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص. ١٠٩.

خاتمة

ختامًا نستطيع التأكيد على أهمية الانطلاق من رؤية إسلامية أصيلة، عند تقعيد القواعد المنهجية الناظمة لفكر الاستغراب، فهي قمينة بأن تُسيج الجهود العلمية المبذولة في هذا المضمار بسياج من المبادئ، والضوابط ذات الصلة بأخلاقيات التعامل مع الغرب، الذي لا يمثل دائمًا دائرة الشر التي ينظر إليها بمنظور عدائي، كما أن تجنب طريق الاختزال، والتعميم يستوجب الإحاطة، والإدراك التام بكل معارف، ومدارك، ومناهج الغرب، سعيًا إلى ضمان إطلاق أحكام موضوعية، واستنتاج أفكار، ورؤى، وتصورات متوازنة، فالحكم على حضارة الغرب بجميع مكوناتها، وأصولها، وامتداداتها، لا يمكن أن يكون سليمًا وفق المبدأ الإسلامي، القاضي بضرورة التبيُن، والتثبت، إلا إذا كان مستندًا إلى إلمام شامل، ومعرفة تامة بالمجال المعرفي المراد دراسته، وفهمه.

ومهما كانت القواعد المنهجية التي تمت دراستها في هذا البحث معدودة، فقد أمكن استنتاج قواعد فرعية، تم الحديث عنها ضمنيًا، علمًا بأنه من الصعوبة بمكان استقصاء جميع القواعد المنهجية الممكن اعتمادها في تأطير الموضوع، فلكل باحث مهتم القدرة على انتخاب جملة من القواعد، والمعايير المنهجية التي يراها أنسب وأقوم.

ومن أبرز الاستنتاجات التي أمكن تحصيلها ما يلي:

- إن إحكام الربط بين استكشاف الغرب، وإعادة استكشاف الذات الحضارية، من شأنه تحقيق مكاسب عديدة، ومعتبرة.
- إن الانطلاق في فكر الاستغراب من مرجعية إسلامية مؤطرة، واستنادًا إلى أخلاقيات البحث العلمي في النظر، والحكم على الآخر، وفق مناهج العلماء المسلمين المعتبرة، كفيل بإنضاج دراسات قويمة، ونافعة، سيكون لها أثرها البالغ في الاستنهاض الحضاري للأمة الإسلامية.
- إن العمل على امتلاك معرفة ضرورية، وشاملة بالغرب، ليس بالأمر الهين، فهو مشروع ضخم، يتطلب التعرف الواسع، والاطلاع التام على مصادر الفكر الغربي، ومدارسه، ومناهجه في أصولها، وبلغاتها المختلفة، وهو ما يستدعي تظافر الجهود، والمبادرات وفق تخطيط محكم، واستراتيجية فاعلة.
- إن جل الدراسات، والأبحاث المنجزة في فكر الاستغراب من طرف مفكرين، وباحثين في العالم الإسلامي، تبقى معزولة، تعبر عن آراء، وتصوراتٍ مختلفة، ولا تكاد تبلغ مستوى إخضاع الغرب لأن يكون مدروسًا، ومنظورًا إليه، بدل أن يكون دائمًا دارسًا، وناظرًا إلينا، من هنا يتعين التفكير بقوة في مأسسة فكر الاستغراب، من خلال التنسيق المشترك؛ للقيام بمشاريع أبحاث جماعية كبرى على مستوى مراكز البحث في العالم الإسلامي، وجامعاته.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

بن عامر، محمد أمين حسن. «الاقتباس عن الغرب: ضوابطه وحدوده، أسبابه وآثاره». **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الكويت، المجلد ١١، العدد ٢٩، (١٩٩٦م).

البنعيادي، محمد. **نحو فقه للاستغراب** كتاب الأمة، العدد ١٣٢، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط. ١، (١٤٣٠هـ).

بيشي، محمد عبد الحليم. «الجذور التاريخية لعلم الاستغراب في التراث الإسلامي». **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة قطر، المجلد ٣٧، العدد ٢، (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

حنفي، حسن. **مقدمة في علم الاستغراب**. القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط. ١، ١٩٩٢م.

سعيد، إدوارد. **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، ترجمة: كمال أبو ديب. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. ٢، ١٩٨٤م.

الشيخ، أحمد. **من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب**. القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ط. ١، ٢٠٠٠م.

عزوزي، حسن. **الإسلام والغرب: قراءات معاصرة**. فاس: مطبعة أميمة، ط. ١، ٢٠١٢م.

الفاروقي، إسماعيل راجي. **أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل**. ترجمة: عبد الوارث سعيد. الكويت: دار البحوث العلمية، ط. ١، ١٩٨٤م.

محفوظ، محمد. **الإسلام والغرب وحوار المستقبل**. بيروت: المركز الثقافي العربي، ط. ١، ١٩٩٨م.

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. **حوارات في علم الاستغراب مع مفكّرين وباحثين من العالَمَيْن العربيّ والإسلاميّ**. النجف: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط. ١، ٢٠٢٠م.

صورة الآخر: العربي ناظرًا ومنظورًا إليه. تحرير: الطاهر لبيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط. ١، ١٩٩٩م.

المسيري، عبد الوهاب. **إشكالية التحيز للنموذج المعرفي الغربي**. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط. ١، ١٩٩٥م.

معميش، عز الدين. «فكر الاستغراب في التداول المعرفي المعاصر: نحو رؤية موضوعية في استكشاف الآخر». **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر**، مجلد ٢٥، العدد ١٠٠، نوفمبر، ٢٠٢٠.

الميلاد، زكي. **تعارف الحضارات**. كتاب جماعي، دمشق: دار الفكر، ط. ١، ٢٠٠٦م.

النملة، علي بن إبراهيم. **الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها**. بيروت: ط. ٣، نيسان، ٢٠١٠م.

ـــــــ. **النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط. ٣، ٢٠٠٦م.

يان، بوروما ومرغريت، أفيشاي. **الاستغراب، تاريخ النزعة المعادية للغرب**، ترجمة: ثائر ديب. الرياض: مطبعة العبيكان، ط. ١، ٢٠٠٨م.

ثانيًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

References

ʻAzzouzī, Ḥassan. *al-Islām wa l-Gharb: Qirā'ā t Muʻāṣirah* (in Arabic), Fes: Makṭbaʻat Umaymah, 1st. ed., 2012 AD.

Al-Benʻayādī, Muḥammad. *Naḥwa Fiqhin lilIstighrāb* (in Arabic), Kitāb al-Ummah, vol. 132, Doha: Wizārat al-Awqāfwa al-Shu'ūn al-Islāmīyah, 1st ed., 1430 AH.

Al-Fārūqī, Ismāʻīl Rājī. *Aslamat al-Ma'rifah: AlMabādi' al-'Āmmah wa Khuṭṭat al-'Amal* (in Arabic), Tarjamahʻ Abd al-Wārith Saʻīd, Kuwait: Dār al-Buhūth al-'Ilmīyah, 1st ed.,1984 AD.

Al-Markaz al-Islāmī lid -Dirāsāt al-Istrātījiyah, *Ḥiwārāt fī'Ilm al-Istighrāb,* (in Arabic), Najaf: al-Markaz al-Islāmī, 1st ed., 2020 AD.

Al-Masīrī Abd al-Wahhāb. *Ishkāliyat al-Ṭaḥayyuz lil- Namūdhaj al-Ma'rifī al-Gharbī* (in Arabic), Cairo: al-Maʻhad al-'Ālamī lil Fikr al-Islāmī, 1st ed., 1995 AD.

Al-Mīlād, Zakī. *Ta'āruf al-Ḥaḍārāt* (in Arabic), Kitāb Jamāʻī, Damascus: Dār al-Fikr, 1st ed., 2006 AD.

Al-Namlah, 'Alī b. Ibrāhīm. *al-Naql wa al-Tarjamah fī al-Ḥadārah al-Islāmīyah* (in Arabic), Riyadh: Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭanīyah, 3rd ed., 2006 AD.

———. *al-Sharq wa al-Gharb: Munṭalqāt al-'Alāqāt waMuḥaddidātuhā* (in Arabic), Beirut: April, 3rd ed., 2010 AD.

Al-Shaykh, Aḥmad, *Min Naqd al-Istishrāq Ilā Naqd al-Istighrāb: Al-Muthaqqafūn al-'Arab wa Al-Gharb* (in Arabic), Cairo: Al-Markaz Al-'Arabī lid Dirāsāt al-Gharbīyah, 1st ed., 2000 AD.

Banī 'Aamīr, Muḥammad 'Amīn Ḥassan Muḥammad. "Taking over (Borrowing) from the West, Rules, Boundaries, Causes and Effects", (in Arabic), *Journal of Sharia and Islamic Studies*, Kuwait University, vol. 11, issue 29, 1996.

Ben Nabi, Malik. *La lutte ideologique en pays colonisés*. Beyrouth , 1957.

Bichi, Mohammed Abdelhalim. "Historical Roots of Occidentalism in the Islamic heritage", (in Arabic), *Journal of College of Sharia and Islamic Studies*, Qatar University, vol. 37, issue 2, 2020.

Daniel, Norman. *Islam et Occident, traduit de l'anglais par Alain Spiess*. Louvain, 1er ed., 1993.

Guenon, René, *Orient et Occident*, éditions Véga-Paris, 1983.

Ḥanafī, Ḥasan. *Muqaddimah fī 'Ilm al-Istighrāb* (in Arabic), Cairo: al-Mu'assasah al-Jāmi'īyah lid Dirāsāt wa n-Nashrwa at-Tawzī', 1st ed., 1992 AD.

Lewis, Bernard: *Comment l'Islam a découvert l'europe*, traduit par Annick Pelissier,Paris Gallimard 1984.

Maamīsh, 'Izz- al-Dīn. «Fikr al-Istighrāb fī al-Tadāwul al-Ma'rifī al-Mu'āṣir: Naḥwa Ru'yah Mawḍū'īyah fi Istikshāf al-Ākhar», (in Arabic)*, Majallat al-Fikr al-Islāmī al-Mu'āṣir*, vol. 25, N. 100, November, 2020.

Maḥfūẓ ,Muḥammad. *al-Islām wa l-Gharb wa Ḥiwār al-Mustaqbal* (in Arabic), Beirut: al-Mar.kaz al-Thaqāfī Al-'Arabī, 1st ed., 1998 AD.

Sa'īd, Edwārd. *Al-Istishrāq: al-Ma'rifah, al-Sulṭah, al-Inshā'* (in Arabic), tr. Kamāl,Abū Dīb, Beirūt: al-Mu'assasah al-'Arabīyah lid Dirāsāt wan-Nashr, 2nd ed., 1984 AD.

*Ṣ*ūrat *al-Ākhar: al-'Arabī NāẓiranwaManẓ*ūran *Ilayh* (in Arabic), ed. al-Ṭāhir Al -Labīb Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabīyah, 1st ed. 1999 AD.

Todorov , Tzévetan. *Nous et les autres*. Paris: le Seuil, 1st ed., 1989.

Yān, Burūmā, Margharīt, Afīshāy. *Al-Istighrāb*: *Tārīkh al-Naz'ah al-Mu'ādīyah lil Gharb*. tr.Thā'ir Dīb (in Arabic), Riyadh: Maṭba'at al-'Ubaykān, 1st ed., 2008 AD.